أديبات:

أرسلت «باحثات» إلى عدد من الأديبات اللبنانيات
السؤال التالي: «لمن تكتبين»؟ وهنا الإجابات:

هدى بركات

لمن أكتب؟

١ ـ ربما للفراغ. لأناس هم صورتهم التي لي، والتي أعرف أنها واهمة. وتكراراً أقول إننا حين نكتب، نبعث بما يشبه تلك الرسائل التي تودع زجاجة وتُلقى في مياه البحر: لو كان المرسل ـ على جزيرته البعيدة ـ مستتباً في يأسه الكامل لما أرسلها. إنه على الحافة، على الصراط الذي يجعله بين صورة القعر وصورة عينين تقرآن.

أعتقد أن الناس (الأوّلين) بدأوا الكتابة على جدران الكهوف حين لم تعد المشافهة تكفي. حين لم يعد يكفي أن أقول لجاري بأن لي عنده قصعة من الحبوب عليه أن يردّها لي. حين صار ينسى وحين بدأت أفقده وأعرف الخيانة والبعد. أكتب صورة جاري وصورة القصعة علّني، حين يتعنّت بنكرانه ويمضي احتفظ بالصورتين، عزاءً وانتقاماً...

٢ ـ وبدأ الأولون الكتابة أيضاً، حين صار عليهم أن يتذكروا الوقت، وأن يُثبتوا مواسم الصيد والترحال والزراعة. أي حين بدأوا يعرفون بأنهم يفتقدون الوقت ويفقدونه... ذلك الوقت الذي يضيع كذلك حين يموت جاري، فيذكّرني بموتي.

أكتب لأملأ فراغ العالم مني بعد موتي، ليذكرني أبنائي فيمتدوا قليلاً فيّ كما امتددت فيهم.

نكتب ربما حتى نمتد خارج أجسادنا القليلة، ولنشغل مساحة أكبر من تلك التي لنا. ولأن الذي يكتب هو كالكثير الأسفار، ليتعدّد وجودُنا في الأمكنة ولكي يمثل فراغنا فيها حين نغادرها.

٣ ـ أكتب كذلك للبيت. لذلك الذي ولدت فيه، ومنذ عرفت أني سأغادره يوماً. لأن البنت كائن لا يقيم، كائن يسير ولا مكان له. ومنذ عرفت بأني سأغادر اسمي أيضاً حين

سأغادر ذلك البيت. أكتب ربما لأملأ فراغ ذلك البيت مني كأني أعود إليه، ولأملأ فراغ اسمي الذي عليه أن يكون طيّعاً كالإناء فيتخذ شكل الإلحاق المناسب.

٤ ـ يكتب العاشق لمن يحب ويهوى. لكي يملأ غيابُ الملامسة وقتَ الحبيب حين يكون هذا الأخير بعيداً. فهو ـ أي الحبيب ـ حين يكون حاضراً يحيل كل كلامي الى تكرار عمومي، وتعجز (دائماً) لغتي عن الإفصاح عمّا بي. ولا يبقى سوى أن ألمسه فأتحقق من حضوره ومن حضوري فيه، وأنا أعلم يقيناً أنه لن يمكث إلى الأبد. وحين يكون غائباً تأكلني الغيرة من وقته دوني، والحيرة ممّا عساه يكون وقته فارغاً مني. أكتب له للاستعاضة عنّي بي. لكي، حين لا يراني، يرى صورتي التي، في الوقت نفسه، هي دليل حضوري وغيابي. فحين أكون بعيداً، أكتب لكي لا يستعاض عني سوى بي.

٥ ـ نكتب لفراغ الناس وانفضاضهم عنا، لأننا نريد أن نكتب لكلّ الناس. فالكتابة لعلّها الفعل الأكثر وحشة لأنك لا تكتب إلاّ وحيداً. كمن يموت. لكنك تعلم ان الرغبة في خروج الكتابة للعلن هي رغبة مطلقة لأننا نحلم أن تقرأنا الكرةُ الأرضية كلّها. منتهى التواضع والاستوحاش والعزلة من أجل أقصى الإدّعاء والانتشار والتخاطب. (وفي كل كتابة ادعاء بالنبوة وإحساس بضرورة نشرها على الملأ ـ طبعاً).

لكن تلك الكثرة التي نخاطبها غائبة، ولا ضرورة لحضورها إلاّ إذا كانت تلك الكتابة تبشيراً وإقناعاً. الكثرة التي نخاطبها في الكتابة الأدبية لا تحضر عندنا إلاّ في صورتها، في مجازها أي في غيابها. وإذ ذاك نرى أناساً لا نعرفهم، منكبّين على قراءتنا وعلى الإعجاب بما قشرناه لهم من فاكهة أرواحنا الهائمة يعجبنا ذلك كثيراً لأنه الدليل على قوتنا، على شدّة بأسنا في غيابنا، وعلى تأثيرنا وضرورتنا.

٥ ـ نكتب لتلك الفراغات الكثيفة، الشديدة الزحمة بغيابها.